



اكتساب الكلام وممارسته

الأطفال في مختلف بلدان العالم يمكنهم استقبال الكلام عقب ولادتهم مباشرة، ويقضون عامهم الأول مستقبليين فقط دون القدرة على الكلام، بيد أنهم يظهرون مؤشرات تدل على فهمهم لما يسمعون، بل وقد يمارسون ذلك بالفعل من خلال تنفيذ بعض الأوامر إجرائياً، واتباع التعليمات التي تقدم لهم. ومع نهاية العام الأول يبدأ الطفل كلماته الأولى التي تتضمن مقاطع صوتية بسيطة، مع تركيبات صوتية غير واضحة، ورغم ذلك فهي تقرب كثيراً من الكلام الذي يسمعه من المحيطين به، وتنطوي الكلمات الأولى عادة على أمور ذات أهمية خاصة بالنسبة له، أو أشياء يريدونها مثل: ماما، بابا، لبن، ماء...

وتتطور قدرة الطفل خلال العام الثاني بحيث تمكنه من فهم مزيد من الكلام المعقد الذي يسمعه، كما يمكنه نطق مزيد من الكلمات، محاولاً ممارسة الكلام بجمل بسيطة وإن كانت غير كاملة. كما يكتسب الأطفال النظام الصرفي للكلام (القواعد، والتركيب، والسياق) من خلال الأحاديث اليومية التي يسمعونها من الكبار ممن يعيشون معهم.

ويظهر ذلك جلياً عندما يستطيع الطفل تكوين جمل (من كلمتين أو ثلاث) حيث يتعين عليه مراعاة تركيبها من حيث الكلمة التي تأتي أولاً ثم التي تليها.. وذلك كي يفهمها المستمع، وهكذا يتعلم الطفل كيفية استخدام الكلام بصورة مناسبة كي يستطيع التعامل به مع الآخرين بفاعلية.

ورغم وجود بعض العموميات في عملية اكتساب اللغة لدى الأطفال من

مختلف الثقافات - فإن هناك وجهات نظر مختلفة ومتباينة حول تفسير هذه العملية، وقد عنى كثير من العلماء والباحثين، ممن ينتمون إلى تخصصات مختلفة - بدراسة اللغة، فقد تناول الفلاسفة وعلماء النفس العلاقة بين اللغة والتفكير، واهتم المتخصصون في اللغة بألوانها وأشكالها، ونظر المتخصصون في علم النفس وفي العلوم العضوية إلى اللغة من خلال الأصول العضوية والنفسية لها، أما المتخصصون في علم الأعصاب، والأطباء النفسيون، والمختصون بعلاج اضطرابات اللغة فقد درسوا الأصول العصبية لكل من اللغة العادية والمضطربة، كما تناول المتخصصون في دراسة نمو الأطفال، وعلوم اللغة، وفي بعض فروع علم النفس العلاقة بين التكوين العقلي المعرفي للفرد واللغة.

ورغم أن جزءاً من اختلاف وجهات النظر حول اللغة يرجع إلى اختلاف مجال التخصص، فإن بعضها يرجع أيضاً إلى تاريخ دراسة اللغة، نظراً لحدوث تغير في وجهات النظر ومجال الاهتمام. من حقبة زمنية إلى أخرى، فقد تغير ذلك كثيراً خلال السبعينات مثلاً عنه خلال الخمسينات، ولذلك تعددت مداخل دراسة اللغة. وتباينت، وسوف نستعرض أهم هذه المداخل بإيجاز.

١ - المدخل السلوكي The Behavioral Approach

يؤكد هذا المدخل على أهمية ظروف البيئة المحيطة بالطفل كعامل أساسي في اكتسابه للغة دون النظر إلى قدراته الداخلية. فالكلام مثله مثل أى نوع من السلوك يمكن برمجته وتعليمه للآخرين. وترجع أصول المدرسة السلوكية إلى الاشتراط الكلاسيكي الذي اكتشفه بافلوف من خلال تجاربه على إسالة اللعاب لدى الكلاب. وقد قام بافلوف بإعداد مصدر لصوت بحيث يمكن إصدار صوت كلما قدم الطعام للكلب، الذي تعلم بدوره استجابة إسالة اللعاب عند سماعه للصوت.

وطبقاً للمدرسة السلوكية فإن الكلام عبارة عن سلوك يمكن تعلمه عن طريق الاشتراط، فعلى سبيل المثال يتعلم الطفل (البالغ من العمر تسعة أشهر) إصدار

صوت معين للوالدين أو المحيطين به عندما يسمع أصواتهم وينظر إليهم، حيث يشعر بالراحة والسرور والأمن .. (تعزيز)، وهكذا يميل الطفل إلى تكرار إصدار مثل هذه الأصوات التي تجلب له السرور أو التعزيز. وكذلك عندما ينطق الطفل كلمة ماما، ويتبع ذلك قيام الأم بمداعبته وعناقه، وتغذيته وبالتالي يصبح السلوك اللغوي (ماما) مصدرًا لفرح الأم وسرورها (تعزيز)؛ مما يجعله يميل إلى تكرار ممارسته، وقد يعمم هذا السلوك فينطق هذه الكلمة في أى وقت يريد فيه الطعام أو يتناوله بغض النظر عن يقوم بإطعامه. وبنفس الأسلوب يتعلم الطفل نطق كلمة بابا ويعممها على جميع الرجال.. وما يلبث أن يتعلم استخدام هذه الكلمات بصورة صحيحة ومتمايزة بعد ذلك.

واتخذ سكينر (١٩٧٥) أسلوباً آخر في تفسير عملية التعلم أطلق عليه الاشتراط الإجرائي أو الوسيلى Operant Conditioning. وبالتالي يعد الكلام سلوكاً إجرائياً أو وسيلياً يتم تعليمه عندما يعقبه تعزيز، بينما يكف الطفل عن تلك الأصوات التي لا تلقى تعزيزاً. ويعد الوالدان بمثابة المعلم الذى يشكل أصوات الطفل، ويعززها كلما اقتربت تدريجياً من نماذج كلام الكبار.

وهكذا يؤكد هذا المدخل أهمية التقبل الاجتماعى فى تعلم الطفل الكلام، ويلعب الوالدان دوراً أساسياً فى تعليم الطفل اللغة خلال العامين الأولين من عمره، وسواء بتوفير المثيرات الصوتية له، أو بتعزيزه على ممارسة تلك الأصوات بصورة تقترب من الكلام العادى الشائع فى ثقافته، ويصل هذا التأثير درجة كبيرة يصبح عندها من الصعب تحديد ما يمكن أن تحدثه ثقافة أخرى فى لغة الطفل بعد وصوله سن العامين.

وجدير بالذكر أن المدخل السلوكى فى اكتساب اللغة استخدم على نطاق واسع فى تدريب الأطفال الذين يعانون اضطرابات فى النطق والكلام خلال الستينات والسبعينات من القرن العشرين، ولا يزال أسلوب الاشتراط الإجرائي أو الوسيلى

يستخدم في مساعدة كثير من الأطفال الذى يعانون اضطرابات النطق والكلام على اكتساب الكلام العادى حتى الآن.

٢ - المدخل الفطرى (الطبيعى) The Nativist Approach

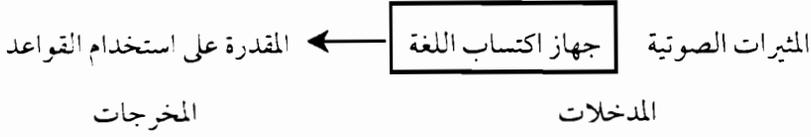
يذهب أصحاب هذا المدخل إلى أن الفرد يولد مزودًا بالأجهزة الفسيولوجية الأساسية التى تمكنه من فهم الكلام وممارسته (التعبير)، ويلزمه فقط أن تتوافر له الاستثارة اللغوية من خلال الناس المحيطين به، وقد حاول المهتمون بهذا المذهب تفسير قدرة الطفل على فهم الكلام واكتسابه بسهولة، وبصورة لا توحى بأن ذلك كله يحدث نتيجة لعملية تعلم مقصودة من قبل المحيطين به. وفي معرض تأكيد ذلك أشار تشومسكى Chomsky (١٩٨٨) إلى حقيقة مهمة مؤداها أن الصغار يتعلمون الكلام ويأرسونه رغم أنه نادرًا ما يقوم أحد بتصحيح كلامهم وطريقتهم فى تركيب الجمل، وهو هنا يفسر ذلك بأن الطفل يولد ولديه استعداد عضوى لمعرفة قواعد اللغة، أو على الأقل يجعله مهيبًا لاتباع تلك القواعد عند الكلام.

وبعبارة أخرى فلدى الطفل معرفة فطرية بقواعد الكلام؛ فالطفل الذى يتعلم اللغة الإسبانية أو أى لغة أخرى يعرف - مسبقًا بالفطرة - القواعد اللازمة لتركيب كل منها على حدة، أى أنه يعرف المتطلبات اللازمة لتركيب الكلام فى مختلف لغات العالم (تشومسكى Chomsky ١٩٨٨).

وقد ناقش ماكينيل Mencil (١٩٧٠) أداة اكتساب اللغة Language Device (LAD) Acquisition، التى تعد نموذجًا للاكتساب يتسق مع المدخل الفطرى.

ويتضمن هذا النموذج أن الكلام الذى يسمعه الطفل يمر عبر أجهزة تساعده على فهم وتعلم اللغة التى يسمعها، وباستمرار تعرض الطفل للكلام ومن خلال عملية اكتساب اللغة يتعلم القواعد، كما تنمو لديه القدرة على اتباعها فى أثناء الكلام.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن الاستعداد (معرفة اللغة) ليس بالضرورة أن يماثل الأداء، أي ممارسة تلك المعرفة، وقد عبر ماكنيل عن هذه النظرية بالرسم التالى:



وقد قدم هذا النموذج "الصندوق الأسود" للاكتساب لتفسير كيفية تعامل المدخلات اللغوية (Corpus) والاستعداد العضوى للطفل (LAD) لتكوين الاستعداد لاستخدام القواعد.

ويرى تشومسكى (١٩٨٨) أن الاستعداد اللغوى يتضمن خصائص أو متغيرات عامة وأخرى متباينة، فتلک المتغيرات العامة تعد مسئولة عن الخصائص الثابتة أو الأساسية لمختلف اللغات، كما يجب وضع الأسس اللازمة لتلك الخصائص المتغيرة، ويتم وضع هذه الأسس من خلال تعرض الطفل للمثيرات اللغوية (المدخلات)، وذلك بعد أن تصبح تلك الأسس جزءاً من القدرة اللغوية له، وقد ركز بينكر (Pinker ١٩٨٩) على كيفية تعامل القدرة اللغوية مع المدخلات اللغوية لمساعدة الطفل على تكوين الكفاءة فى استخدام القواعد، وقد حاولت وجهتها النظر سالفه الذكر على القاعدة الفردية للقدرة اللغوية فى معالجة المدخلات اللغوية. وتفترض أن القدرة اللغوية فطرية تجدد سلفاً لدى الطفل وبصورة متميزة مستقلة.

٢ - المدخل المعرفى The Cognitive Approach

يعد النمو العقلى مطلباً أساسياً لتعلم الكلام، وقد تبنى هذا المذهب "بياجيه" منذ العشرينات من هذا القرن، فقد ذهب بياجيه (١٩٦٣) إلى أن النمو اللغوى للطفل يعد انعكاساً لسياق نموه المعرفى الذى يسير فى مراحل متتابعة، وتمثل المهارات اللغوية أحد تطبيقات المهارات المعرفية العامة فى مجال التواصل، واستناداً

إلى ذلك فإن النمو المعرفي يعد ضرورة ومطلبًا سابقًا للنمو اللغوي (كيل ودالي، ١٩٨٩ Kelly & Dale).

وبالإضافة إلى النضج المعرفي فإن الخبرة تعد مهمة أيضًا لدى أصحاب المدخل المعرفي، فالكلمات الأولى التي ينطقها الطفل تصف الناس والأشياء والأفعال التي يجربها في مواقف الحياة اليومية. وقد يمثل اكتساب الكلمات الأولى تركيبة من خبرات الطفل وتزيد قدرته على التعبير المجرد عن تلك الخبرات (في صورة كلام) وينطوي ذلك على افتراض ضمنى مؤداه أن الطفل يكون مفاهيم معرفية عن العالم قبل أن يستطيع التعبير عنها لغويًا (بالكلام).

وبالإضافة إلى ذلك فإن الخلفية المعرفية لطفل (حول الناس، والمواقف، والأحداث) تساعد على التواصل بفاعلية مع الآخرين، وتؤكد الرابطة الوثيقة بين المعرفة، والخبرة، والتواصل على الرسالة التي تحملها اللغة وليس مجرد الشكل أو الصيغة.

وهكذا يفترض أصحاب هذا المدخل أن المهارات اللغوية للطفل - وطاقته على النمو اللغوي - يسير في مراحل نمائية، وهذا عكس وجهة نظر أصحاب المدخل الفطري الذين يفترضون أن المقدرة اللغوية للطفل تكتمل قبل مولده وتثبت مع الزمن، ومع ذلك لا ينكر أصحاب المدخل المعرفي وجود استعدادات فطرية تعد متطلبات سابقة، بيد أنها لا تقتصر على اللغة فحسب، لكنها عامة بالنسبة لمختلف المهارات المعرفية والأنشطة التي يؤديها الفرد، وعلى ذلك فإن المهارات اللغوية تعتمد إجرائيًا على نمو المهارات المعرفية.

٤ - المدخل البنائي The Structural Approach

يتعرض الطفل يوميًا - منذ ولادته - لكلام المحيطين به، فيكتسب منها خلال شهور قليلة معلومات كافية عن اللغة تؤهله لفهمها والتعبير عنها لفظيًا، ويركز المدخل البنائي على تلك الطريقة المنظمة التي تنمو بها لغة الطفل من كلمة واحدة إلى ممارسة الكلام العادي مع الكبار.

ويذكر بروان Brown (١٩٧٦) - وهو من المهتمين بهذه النظرية - أن الطفل يبدأ في ممارسة الكلام بصورة تلغرافية تتضمن كلمات بسيطة منفصلة، وكما هو الحال في الرسائل التلغرافية يتم اختيار الكلمات الدالة على المضمون مثل الأسماء، والأفعال، والصفات التي تعبر عن الأشخاص، أو الموضوعات، أو الصفات، ويتم استبعاد الضمائر وحروف العطف وأدوات الوصل.. وغيرها من الأفعال المساعدة.

وقد أجرى بروان وفراسر Brown & Fraser (١٩٦٣) دراسة طويلة على (٦) أطفال تنحصر أعمارهم بين ٢-٣ سنوات، واتضح أن كلام الطفل المبكر يتضمن كلمات المضمون أساسًا، ويتم إضافة كلمات تفصيلية أخرى من وقت لآخر بصورة منظمة خلال عملية اكتساب اللغة.

كما اتضح أن الأطفال يحاولون تغيير مقام الصوت ونغمته في الغالب لتعويض طريقة الكلام التلغرافي التي يارسونها، وكان يتم ذلك خلال ممارسة الكلام بنفس أسلوب الكبار منذ البداية، بيد أنه يظهر بصورة تلغرافية، حيث يظهر الكلام في صورة جمل حذفت منها مقاطع معينة.

وقام بروان Brown (١٩٧٣) بتحليل كلام الأطفال عبر فترات زمنية مختلفة، وقد توصل إلى وضع خمس مراحل لتكوين الجملة يبدو أنها تعكس (أو تقابل) عملية النمو اللغوي برمتها، وقد تم وضع هذه المراحل طبقًا لعدد وحدات الكلمات التي يستخدمها الطفل في كلامه، أو بعبارة أخرى متوسط عدد الكلمات في الجملة، وذلك على النحو التالي:

مرحلة ١: [$2 \frac{3}{4}$ كلمة]، حيث يستخدم الطفل كلمة مفردة، ثم يحاول إضافة كلمة أخرى إليها، مثل الاسم والفعل - بابا باي، ياره راح.

مرحلة ٢: [$2 \frac{1}{4}$ كلمة]، وهنا يحاول الطفل تغيير نهايات الكلمات ليعبر عن القواعد مثل: الناس مشى...

مرحلة ٣: [$\frac{3}{4}$ ٢ كلمة]، حيث يبدأ الطفل استخدام صيغ التساؤل، مثل: هي دي سيارة؟ هي دي بتاعتي؟

مرحلة ٤: [$\frac{3}{4}$ ٣ كلمة]، يبدأ الطفل استخدام الجمل المعقدة، مثل: بابا راح فين؟ فين اللعبة بتاعتي؟ فين الحاجة الحلوة بتاعتي؟

مرحلة ٥: [٤ كلمة]، يبدأ الطفل استخدام الروابط أو حروف الوصل، مثل: بابا راكب في السيارة، محمد راح مع بابا، بابا في الشغل..

ورغم وجود تداخل بين هذه المراحل فقد أوضحت دراسات بروان ورفاقه شيئاً من التقدم الحقيقي من مجرد نطق كلمة مفردة، إلى جملة من كلمتين إلى جمل تلغرافية، مع تقدم تدريجي في اتباع القواعد اللغوية، ومن ثم استخدام جمل كاملة تماثل كلام الكبار.

وقد أجرى براين Braine (١٩٦٣) دراسة لثلاثة أطفال يبلغون من العمر (٢٠ شهراً)، واستمرت الدراسة ٦ شهور، وكانوا يمارسون كلاماً يتضمن جملاً من كلمتين، وقد وجد أن هؤلاء الأطفال يستخدمون كلمات محورية Pivot في كلامهم، وهي كلمات معينة يستخدمونها في تكوين عدة جمل، مثل هات، خذ... وغالباً بيدي الطفل نجاحاً في استخدام صيغة الفعل في كلام معين، ثم يستخدم نفس الصيغة في موقف آخر، وقد يغير كلمة أو كلمتين في بداية الكلام أو نهايته.

وقد أطلق براين Braine على عملية استخدام نفس الصيغ في مواقف مختلفة "تعميم المواقف" Contextural Generalization (أو تعميم سياق الكلام أو محتواه)، وقد تكون عملية تعميم المحتوى / السياق هي المسئولة عن استخدام الكلمات في مواضع معينة في أثناء تنظيم الكلمات في مختلف الجمل، ويبدو أن هناك فئات معينة من الكلمات غالباً تأتي في بداية الجمل؛ مثل أداة التعريف، أو الضمير، وكذلك استخدام كلمات معينة في نهاية الجمل، مثل الصفات أو الظروف.

وقد ركزت معظم أعمال أصحاب المدخل البنائي خلال الستينات على طول الجمل المستخدمة في الكلام، ونوع الكلمات المستخدمة، والقواعد، وتركيب الشكل أكثر من المعنى، فقد ذكر فنتيز Winitiz (١٩٦٤) أن التركيز على المعنى (كأحد مجالات دراسة اللغة) لم يكن مفضلاً في تلك الآونة.

وذلك يبدو أنها كانت مسألة وقت قبل بدء دراسة المعنى ضمن بناء صيغة الجملة، وتعد دراسة بلوم Bloom (١٩٧٠) من الدراسات المبكرة في هذا الصدد، الذي رأى أنه لكي يكون كلام الأطفال صحيحاً من حيث القواعد، لا بد من إمكانية فهمه دون الانتباه كثيراً إلى سياق الكلام أو محتواه، ويبدو أن المعنى الذي يقصده الطفل كان واضحاً بالنسبة له فقط، فعلى سبيل المثال إذا قال طفل يبلغ من العمر عامين: بابا سيارة، فهنا قد لا نعرف ما يقصده بالضبط، هل يريد أن يركب السيارة مع والده؟ أم يقصد أن والده سوف يحضر بالسيارة؟ أم يريد أن يشتري له والده سيارة لعبة؟ أم أنه سمع صوت سيارة فاعتقد أن والده قد حضر؟...

وهكذا يصعب معرفة معنى كلام الطفل بالضبط، إلا إذ لاحظنا محتوى الموقف المحيط بالطفل، كأن يشير بيديه إلى الباب مثلاً، أو يجرى إلى الباب؛ انتظاراً لوالده، أو يشير بيده إلى السيارة اللعبة التي أحضرها له والده.. ورغم ذلك يبدو أن الأطفال يحاولون تحقيق أفضل استفادة من الحصيلة اللغوية المحدودة التي اكتسبوها.

ومع زيادة ما يكتسبه الأطفال من معلومات حول البيئة المحيطة بهم، ومع تطور قدرتهم على استخدام الكلمات بمزيد من التحديد والخصوصية.. كل ذلك يصاحب بوضوح كلامهم وزيادة قدرة المستمع على فهم معناه، وبوصول الطفل سن الثالثة يحقق مزيداً من النمو المعرفي، وبالتالي يزداد تعقد كلامه، ويتطور كماً وكيفاً.

٥ - المدخل الواقعي أو العملي The Pragmatic Approach

يركز هذا المدخل على كيفية استخدام الأطفال للكلام، وهو يختلف عن المدخل المعرفي من حيث اهتمامه بكيفية تفاعل الطفل مع الآخرين من المحيطين به عن طريق الكلام، فقد أشار كل من باتس Bates (١٩٧٦) وبرونر Bruner (١٩٧٥) إلى أن خبرات التفاعل الإنساني التي يمر بها الطفل خلال عامه الأول تزوده بكثير من الأدوار العملية للغة، وذلك قبل قدرته على ممارسة الكلام بصورة فعلية، وقد سبقت الإشارة إلى أن الطفل يستخدم الأصوات وحركات الجسم للتعبير عن حاجاته ومشاعره، والتواصل مع الآخرين، ثم ما لبث أن يكون كلمات من سلسلة الأصوات التي يصدرها وفقاً للقواعد التي يتعلمها من المحيطين به.

ويذكر برونر Bruner (١٩٧٥) أن القواعد اللغوية التي سجلت للكلام المبكر للطفل تعد امتداداً لعمليات نفسية اكتسبها خلال الثمانية عشر شهر الأولى من حياته.

ويرى باتس Bates (١٩٧٦) أن فعل الكلام الذي يمارس من خلال التفاعل البشري (الإنساني) عبارة عن "نشاط إنجازي" Performative act أو ذلك العمل الذي ينوي المتحدث إنجازه قبل إثارة التساؤلات، أو الاستفسار عن شيء ما؛ فالكلام غرضي؛ أي يسعى لتحقيق هدف ما للحدث، وبصورة عامة يرى أصحاب هذا المدخل أن الطفل يتعلم اللغة مبكراً؛ كى يستطيع التعبير عما يريد من الآخرين، ويستطيع ممارسة الكلام عندما يتعلم خصائصه المختلفة من نغمة، وشدة، وطول، ووقفات... إلخ. وقد سرد هاليدى Halliday (١٩٧٥) سبع حاجات أو مطالب بشرية يمكن أن تشبعها اللغة هي:

١- وسيلة (أنا أحتاج إلى...).

٢- تنظيمية (خذ هذا...).

٣- تفاعلية (كيف حالك؟...).

- ٤ - شخصية (أنا جائع ...).
- ٥ - استكشافية (أين ...؟).
- ٦ - تحليلية (لماذا لا نحاول ...؟).
- ٧ - إعلامية (هل تعرف ...؟).

ويبدو أن وظائف اللغة هذه تحقق معظم الحاجات التفاعلية للطفل الصغير، ومع تزايد تعقد صور القواعد التي تنمو لدى الطفل، ومع زيادة الحصيلة اللغوية التي يكتسبها، كل ذلك يمكنه من التعبير عن حاجاته بمزيد من الإيضاح، كما يساعده على استخدام الكلام المناسب لمواقف معينة، كما يتعلم استخدام الكلام المناسب مع الوالدين، أو المعلم، أو الطبيب... إلخ، وهنا يتعلم الطفل أن مقتضيات الموقف تتطلب صيغاً معينة من الكلام، ويتعلم من خلال تفاعله مع الآخرين ما يتعين أن يقول، وكيف يقول ومتى يستخدم الكلام بصورة معينة؟

فعلى سبيل المثال يعرف الطفل تدريجياً أن لوالدته اسماً آخر غير ماما، وكذلك لوالده، كما يتعلم ما يجب أن يقوله لوالدته عندما يكون معها بمفردها، وماذا يقول حينما تكون مع الضيوف.. إلخ، أى أن الكلام غرضياً يحمل رسالة معينة إلى المستمع، وبالتالي يتم بصورة تساعد المستمع على فهم الرسالة جيداً؛ كى يكون الكلام فاعلاً، وبها يساعد على مزيد من التفاعل والتواصل بين الطفل والآخرين.

٦ - المدخل العضوي The Biological Approach

يركز هذا المدخل على وظيفة الجهاز العصبي المركزي بالنسبة لعملية الكلام، فقد أشار ليننبرج (Lenneberg ١٩٦٧) إلى وجود أدلة على أن أنسجة المخ وبقية أجهزة الجسم تمثل معينات عضوية، ووحدات متكاملة لتعلم الكلام وممارسته، وقد تزايد اهتمام العلماء والباحثين عبر السنين بدراسة العلاقة بين الأجهزة العضوية واكتساب اللغة، فقد أوضحت دراسة "الحبسة الكلامية" Aphasia، سواء لدى الكبار أو الصغار أن النصف الأيسر للمخ يتحكم في كثير من جوانب فهم الكلام وإنتاجه،

بينما يبدو أن النصف الأيمن للمخ يتحكم في الإيقاع، والنغمة والتعبير الانفعالي. وهكذا تتكامل وظائف نصفي المخ في إتمام عملية الكلام وتوظيفها جيدًا في عملية التواصل.

وبناء على ذلك اهتم عدد من الباحثين بدراسة الخصائص العضوية الكامنة خلف المهارات اللغوية، وقد كان كل من جشونيد ولفيتسكى & Geschwind Levitsky (1968) أول من اكتشفا عدم تناسق منطقة المخ المسؤولة عن عملية معالجة الكلام في نصفي المخ، وقد أكدت البحوث الحديثة أن هذا اللاتناسق يحدث خلال الأشهر الثلاثة الأخيرة من الحمل (شى دولنج وجيلس & Chi, Dooling & Gilles (1977)).

وقد استنتج الباحثون من ذلك أن نصف المخ الأيسر أكثر تحكّمًا في الكلام منه بالنسبة للنصف الأيمن، بيد أن هذه العملية ما زالت قيد البحث حتى الآن. وجدير بالذكر أن الطفل يولد وخلاياه العصبية في مكانها الطبيعي، وتنمو نقط الاشتباك العصبى Synapses (أو الوصلات) بين الخلايا اللازمة لأداء الوظائف المختلفة بسرعة بعد ميلاد الطفل، ويحدث تكاثر في عمليات الخلايا والوصلات في مناطق المخ المسؤولة عن عملية الكلام من خلال اكتساب الطفل المبكر لمهارات التواصل والكلام.

وتعد تلك الأحداث العصبية متطلبات مسابقة ومصاحبة لاكتساب اللغة؛ لأن هناك تغيرات عصبية تسبق اكتساب مهارات الكلام وتصاحبها.

وقد اهتم بعض الباحثين بالجوانب الوظيفية أو الفسيولوجية المرتبطة باكتساب اللغة، حيث استخدموا أساليب مختلفة لمراقبة نشاط المخ لدى الأفراد في أعمار مختلفة، فقد أوضح مولفيس Molfese (1990) - مثلاً - وجود اختلاف في استجابات المخ الكهربائية لدى الأطفال بالنسبة للكلمات التي سبق لهم تعلمها، وتلك الكلمات التي لم يتعلموها بعد..

ويعد النشاط الكهربائي المقاس هنا انعكاسًا لاستجابات فسيولوجية بالمخ

للكلمات التي يسمعها هؤلاء الأطفال، بينما ذهب فريق آخر من الباحثين (نيفل وآخرون Neville et al ١٩٩١) إلى دراسة النشاط الكهربائي لمخ الكبار كاستجابة لبعض مكونات اللغة مثل القواعد والمعنى.

وهكذا فإن نتائج البحوث حول الجوانب العصبية والفسولوجية المرتبطة باللغة أوضحت بعض احتمالات التدخل العضوى فى عملية اكتساب اللغة، ولذلك فإن هذا المدخل يحاول تفسير كيفية اكتساب اللغة، بينما تركز المداخل الأخرى على متطلبات ذلك.

ويمكن أن يسترشد الباحثون فى المجال العضوى بالمقترحات النظرية المستمدة من المداخل الأخرى حول عملية الكلام، وبالتالى يمكن أن تسفر هذه الدراسات عن نتائج تدعم مقترحات المدخل العضوى حول اكتساب اللغة أو تدحضها.

تعليق ووجهة النظر:

يبدو أن المداخل المختلفة - سألغة الذكر - لا تختلف من حيث الهدف الأساسى بقدر ما تختلف فى الجانب الذى يركز عليه كل منها، ولذلك نجد أن الباحثين يجمعون بين جوانب متعددة من المداخل المختلفة أو يدمجونها مع بعضها من وقت لآخر، فكل من المدخلين المعرفى والواقعى - على سبيل المثال - يؤكد أهمية الوظيفة التواصلية للغة.

أما المدخلان الفطرى والبنائى فقد يشتركان فى تركيزهما على صيغة اللغة أو شكلها، وغالبا يتناول المدخلان المعرفى والسلوكى محتوى اللغة على أساس أنه نتيجة للخبرات التى يمر بها الطفل خلال نموه، وترتكز المداخل العضوية على المصاحبات العصبية والفسولوجية للغة.

ويبدو أن اختلاف الجوانب التى يركز عليها كل من تلك المداخل يعكس فى جزء منه اختلاف المجالات التى أسهمت فى مجال اللغة. ومع تزايد الدراسات المشتركة (عبر المجالات المختلفة) حول اللغة فإننا نتوقع مزيداً من التكامل بين هذه المداخل.